التنظيم العقلي و التقمص عند الحراق
من خلال الرورشاخ

محمد عياش، أستاذ متعاقد [1]

تاريخ الارسال 31-01-2018 تاريخ القبول 16-07-2020

ملخص

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحدة من أهم الظواهر الحساسة التي يعيشها الشباب الجزائري بصفة خاصة، وشباب شمال إفريقيا بصفة عامة، ويتعلق الأمر بظاهرة الهجرة السرية (الحرقة)، والتي لا يمكن الحديث عنها دون استحضار الصور المؤلمة لمئات الموتى، والآلاف من المعتقلين والمفقودين من شبابنا.

هدفت هذه الدراسة لاستقصاء التنظيم العقلي ونوعية التقمصات الوالدية لدى المهاجر السري الراشد انطلاقا من نظرية التحليل النفسي، حيث عالجنا ثلاثة متغيرات كالتالي: التنظيم العقلي، التقمصات الوالدية، والهجرة السرية.

استخدمت الدراسة ثلاث أدوات لجمع المعلومات، وهي : المقابلة العيادية شبه الموجهة، اختبار الرورشاخ الذي يعتبر من أشهر الاختبارات الإسقاطية التي تبحث في أغوار النفس البشرية، و الذي يعد أيضا السبيل الأيسر لمعرفة التنظيم العقلي لأي فرد، كما أنه يسمح لنا بالتحري الجيد عن نوعية التقمصات الوالدية سواء كانت مرضية أو سوية، وأخيرا دراسة الحالة والتي اتخذناها كتناول عيادي للعمل مع المفحوص ذو 35 سنة.

بعد تحليل للبيانات، أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- التنظيم العقلي للحالة يتميز بالهشاشة ويظهر هذا من خلال: فقر الإنتاجية، الكف، والصلابة.

- نوعية التقمصات الوالدية هي ذات طبيعة مرضية، وقد ظهر ذلك من خلال التثبيتات في المراحل المبكرة.

- توليفة من الهشاشة في التنظيم العقلي والتقمصات المرضية هي التي كانت تقف وراء إصرار أفراد مجوعة بحثنا على الهجرة غير الشرعية رغم المحاولات العديدة.

الكلمات المفتاحية: التنظيم العقلي، التقمص، الهجرة السرية (الحرقة).

Abstract

We aim through this study shed light on a sensitive phenomena experienced by the youth of Algeria in particular, and the youth of North Africa in general that is the phenomenon of clandestine immigration (Harragas) caused hundreds of dead victim, thousands of detainees and missing.

This study aimed to investigate the mental organization and the quality of parental identifications, Through Psychoanalytic theory, where I deal with tree variables: mental organization, parental identification and illegal immigration (Harragas).

The study relied on three measures: using the case study approach, clinical interview, and Rorschach which is the most famous projective test which can illustrate the mental organization, and also allow us to investigate the quality of parental identification, whether satisfactory or together, we applied this Tools to research group consists of 01 adults between 35 years, selected with deliberate manner (Snow ball) .

After analysis of data, the study resulted in the following findings:

- The mental organization of the case research's was characterized by fragility, elucidated through the poverty of the projective productivity proving a rigidity and inhibition.

[1] المركز الجامعي، تيبازة

- The quality of parental identifications were fixedness and unhealthy in early stages of life.

We concluded that combination of fragility of mental organization and unhealthy fixedness identification push patients on illegal immigration, despite repeated attempts.

Word key: mental organization, identification, illegal immigration (Harragas).

مقدمة:

الهجرة في أبسط معانيها هي حركة انتقال الأشخاص فرادى أو جماعات من موقع جغرافي إلى آخر بحثا عن الأفضل اجتماعيا، أمنيا، أو اقتصاديا.

منذ القديم و الإنسان يرتحل و يهاجر من مكان إلى آخر دون قيد أو عائق، حتى ظهور الثورة الصناعية و ما تبعها من تطور في القوانين المحلية و الدولية، حيث فرضت جوازات السفر و تأشيرات حدت من حرية تنقل الأشخاص و الأملاك، على غرار الهجرة في السابق والتي كانت تتم بصورة انسيابية تبعا لأغراض محددة سابقا، واعتمادا على مبدأ الحدود الذي وضعه الاستعمار بطريقة عسكرية أو اقتصادية للفصل بين الدول، و نزاع المصالح السياسية و الاقتصادية، أدى ذلك إلى الحد من الهجرة النظامية، و بالتالي نشأت هجرة موازية تسمى بالهجرة السرية أو الهجرة غير الشرعية (الحرقة).

1-**الإشكالية**:

تعد الهجرة السرية أو غير القانونية ظاهرة عالمية موجودة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد الأوربي، دول الخليج، و أمريكا اللاتينية، فمثلا نجد أن رعايا المكسيك و كوبا يتسللون إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ورعايا البرازيل و الأرجنتين يتسللون إلى مايوت Mayote ، أما في إفريقيا فرعايا دول الساحل يتسللون إلى ساحل العاج و إفريقيا الجنوبية ونيجيريا .

لكن الهجرة السرية إلى أوربا اكتسبت طابعا إعلاميا منقطع النظير حيث أصبحت إحدى القضايا المزعجة للدول والحكومات والمنظمات غير الحكومية في حوض البحر الأبيض المتوسط التي تحظى باهتمام واسع خلال السنوات الأخيرة.

رغم تعدد الأسباب المؤدية إلى هذه الظاهرة إلا أنه لم يتم تحديد حجمها الفعلي نظرا للطبيعة غير الرسمية التي تكتسيها الظاهرة، وغالبا ما تتفاوت الإحصائيات التي تقدمها الجهات المختلفة لعدد المهاجرين غير الشرعيين والذي تم تقديره من منظمة العمل الدولية بما يصل إلى 10 - 15 %

من عدد المهاجرين في العالم والبالغ عددهم حسب التقديرات الأخيرة للأمم المتحدة حوالي 180 مليون شخص (أحمد عبد العزيز الأصفر، 2007، ص.34).

أما في تقرير منظمة الهجرة الدولية فإن مؤشر حجم الهجرة غير القانونية في الاتحاد الأوروبي يصل إلى 15 مليون فرد (محمد محمود السرياني، 2010، ص.182).

والجدير بالذكر أن هذا النوع من الهجرة ليس حديث العهد فقد كان متواجدا في أوربا في الستينات وكان أصل هؤلاء المهاجرين من إسبانيا والبرتغال والمغرب العربي.

بعد انقضاء فترة الستينات من القرن الماضي أصدرت أوروبا قوانين تحرم الهجرة السرية إلى أراضيها وتبنت إجراءات قانونية رادعة، وازدادت هذه الإجراءات مع إنشاء فضاء شينغن في جوان 1985 والذي يسمح لحامل تأشيرة أي دولة من دول الاتحاد الموقعة على الاتفاقية بالمرور على أراضي بقية الدول، وازداد الخناق في عام 1990 بعد توسيع الاتحاد الأوربي وكانت لهذه الإجراءات ردود أفعال عكسية حيث استفحلت هذه الظاهرة بشكل ملفت للانتباه حيث ابتكرت وسائل وطرق جديدة يستخدمها مرشحي الهجرة السرية (سعيد اللاوندي، 2007، ص.9).

أما في الجزائر أخذت هذه الظاهرة أبعاد خطيرة في السنوات الأخيرة، حيث بلغت منحنيات مقلقة لدرجة أن 1500 شاب حاولوا العبور إلى الشاطئ الآخر خلال سنة 2007، و لقد أعلنت السلطات الجزائرية على لسان وزير التضامن أن حراس الشواطئ تمكنوا من إنقاذ 1568 شابا مرشحا للهجرة السرية من بينهم 1300 شاب واجهوا خطر الموت الحقيقي كما أوضح السيد الوزير لحصة " الواجهة " للإذاعة الوطنية أن هؤلاء الشباب تم إنقاذهم في سواحل وهران و عنابة، كما ذكر أن 66 % من الشباب المهاجرين ينطلقون من السواحل الغربية باتجاه الميريا، فيما يختار 33% منهم السواحل الشرقية للاتجاه نحو سردينيا بإيطاليا مبرزا أن عدد الشباب المهاجر سريا سنة 2005 قد بلغ 336 شابا (Nesserdine, 2009).

تذكر إحصائيات القوات البحرية أن 2340 شخصا تم توقيفهم علما أن عدد المهاجرين غير الشرعيين تضاعف 5 مرات (مهدي بن شريف، 2008، ص.49).

فيما يخص الخصائص الاجتماعية لشباب الهجرة السرية فقد صرحت دراسة قام بها مركز البحث في الاقتصاد المطبق أن 75% من المهاجرين السريين عزاب و63% يشغلون مناصب عمل معتبرة و38% يحملون شهادات جامعية و 40% ذوي مستوى التعليم متوسط.

إن الإقدام على فكرة الهجرة السرية ليس وليد الصدفة بل هو نتاج تنظيم عقلي فريد من نوعه يبقى ثابت نسبيا يفضي إلى هذا السلوك المليء بالمخاطرة (ماجدة إمام حسين، 2008).

يعتبر التنظيم العقلي للفرد نتاج للنمو النفسي الذي يعتمد أساسا على التفاعلات التي تحدث بينه وبين المحيط الخارجي والسيرورة الدينامية التي تخضع لمبادئ سير الجهاز النفسي، هذا الأخير يعتبر وظيفي وديناميي، أي أنه يسير وفقا لقوانين ضبط خاصة به مثل ما هو الحال لكل جسم عضوي وهو بذلك يحاول أن يحتفظ بحالة توازن داخلي للتكيف مع متطلبات الواقع (عبد الرحمان سي موسي،2010).

فالتنظيم العقلي هو ذلك النشاط الذي تبذله و تقوم به أركان الجهاز النفسي من أجل حل الصراع، وتحقيق التوازن و الاستقرار على مستوى هذا الأخير، خاصة من طرف الأنا الذي يحاول اختيار الآليات الدفاعية المناسبة من أجل التوفيق بين المتطلبات الجامحة للهو (خزان الرغبات و الغرائز) و الرقابة الشديدة للأنا الأعلى (BERGERET et al, P52) .

وعليه يكون التوظيف النفسي يحتوي على مجموعة أساليب وآليات يلجأ الأنا لتوظيفها، أي طريقة تفاعل الجهاز النفسي وتعامله مع الوضعيات المختلفة بما فيها التنظيم العقلي الذي يتميز به المهاجرين غير الشرعيين والذي نسعى لمعرفة نوعية التقمصات الوالدية لديهم.

إن آلية التقمص تساهم في بلورة شخصية الفرد مع نمو السياق التقمصي، و تتوقف الصحة النفسية عموما على علاقات الفرد بوالديه، أي بتقمصاته لاسيما مع الأم باعتبارها أول موضوع للحب و للرغبة،و كذلك بالأب، إذ أن تسوية عقدة أوديب لا يكتمل إلا بوجود صورة الأب التي يتم تقمصها لحل الصراعات النفسية و تجاوزها، خاصة عندما يعاد تنشيطها في مرحلة المراهقة، وقد يتم التثبيت في المراحل الأولى للنمو، الأمر الذي ينقص من قوة التقمصات و حماية توازن الأنا، فمسار السياق التقمصي يحدد مدى تكيف الفرد مع واقعه الداخلي و الاجتماعي في سن الرشد (.(CHABERT. C, 1997, P22

أما بالنسبة للحراق الذي يشكل انشغالنا في هذا البحث و نظرا لظروفه الاجتماعية غير الملائمة و التي لا يستطع جهازه النفسي مجابهتها، و نظرا للتثبيتات القوية في المراحل الأولى للنمو، و نوعية التقمصات التي أدت إلى تكون أنا هش ، فإن الحراق يحاول الابتعاد عن موضوع الرغبة (أحد الوالدين حسب الجنس) بحثا عن ملجأ يغيب فيه الشعور بالذنب فيحاول الهجرة، غير أن قوة الارتباط العاطفي بالماضي سوف يعيده إلى هذا الموضوع، فهو يبذل قصارى جهده للبقاء

بعيدا، إلا أن ذلك الأمر يبقى مستحيلا عندما يدفعه الطفل اللاشعوري للرجوع إلى أحضان موضوع الحب.

فالفرد يحتاج إلى علاقة جيدّة مع والديه حتى تتشكل شخصيته، ويتم هذا عن طريق التقمص، أي إستدخال الفرد للمواضيع الأولية واتخاذها كنموذج في اختياره لموضوع الرغبة، وتجدر الإشارة إلى أن موضوع التقمص مرتبط بظاهرة اختيار الموضوع اللبيدي، وكانت الأم موضوع الرغبة في المرحلة الأوديبية لكلا الجنسين (Perron1985)، و بالتالي تظهر لنا أهمية العلاقة الأولى بين الطفل وأبويه لأنها تساعده على تشكيل تقمصات جيدّة حول موضوع الرغبة الذي اختاره.

وباعتبار أن التقمص يتم في المرحلة الأوديبية ومن خلال علاقة الطفل بوالديه و أول مظهر للارتباط العاطفي بشخص آخر، يمكننا طرح التساؤل التالي:هل الحراقة لم يتجاوزوا العلاقات مع الموضوع بتقمصات جيدة؟،و بالتالي يتميزون بالتثبيت على مستوى الصراعات القديمة؟ ، أي ما هي نوعية التقمصات لدى الحراقة مجموعة بحثنا؟

أثناء إعدادنا لهذا البحث تساءلنا حول الخصائص النفسية التي يمكن أن يتشارك فيها أفراد مجموعة بحثنا (الحراقة) وطرحنا الإشكالية التالية: هل يتميز التنظيم العقلي للحراقة بالهشاشة؟ وهل هؤلاء الشباب لديهم تثبيتات على مستوى التقمص؟

2- **الفرضيات**:

بناء على كل ما سبق، فإننا نقترح الفرضيات التالية:

- قد يتميز التنظيم العقلي للحراق بالكف و بالفقر على مستوى إنتاجه الإسقاطي .
- قد تتميز تقمصات الحراق بللتثبيت الذي يظهر إنتاجه الإسقاطي.

3-**عرض النتائج**:

السيد عبد القادر يبلغ من العمر 38 سنة، مستواه الدراسي هو الرابعة من التعليم المتوسط، تزوج بعد إرجاعه قصرا الى الجزائر، لديه طفل واحد ويعيش مع أمه ، يعمل عبد القادر كتاجر حر يحاول من خلاله توفير مصاريف البيت من مأكل ومشرب ولباس.

في موعد المقابلة تأخر عبد القادر عن المجيء إلى دار الشباب، مما جعل الباحث مضطرا إلى الاتصال به عن طريق الهاتف، ولما كلمه طلب عبد القادر تأجيل الحصة إلى يوم آخر فأقنعه الباحث بضرورة المجيء فوافق.

تحليل محتوى المقابلة عند عبد القادر:

كان المفحوص مقيم في فرنسا في جزيرة كورسيكا (La Corse)، في بلدية كزاتور (Casa Tore)، رغم الذكاء الذي يتمتع به إلا أنه يخفي وراءه صلابة و كف شديدين، حيث كان يجيب إجابة قصيرة و مختصرة كأنه يتحاشى التحدث عن حياته في المهجر، خاصة عن تلك الحادثة التي أرجعته الى أرض الوطن و هي لما ألقي عليه القبض و هو في المتجر.

قال بأنه في عطلة الباك (Le Pack) ذهب إلى المتجر(hyper marché)، و في الأعياد تكثر دوريات الشرطة حيث كان يعلم هذا الأمر إلا أنه لم يتفاداه، فوقع بين يدي شرطة بزي مدني حيث طلبوا منه وثائق هويته، و عندها ألقي عليه القبض و رحّل الى الجزائر بعد شهر من الحبس في مدينة (BASTIA).

لما أراد الباحث معرفة معاشه قبل الهجرة أخبره بأنه لم يكن حي قبل الهجرة، لقد كان يعيش في حي عشوائي لا يسمع فيه إلا الشتم ولا يرى فيه إلا شجار السكارى.

كما أنه لا يريد الحديث عن الأسباب التي جعلته يفكر في الهجرة مرة ثانية رغم أنه متزوج و يمارس مهنة حرة (تجارة)، لم يرد الحديث عن الأسباب لأنها ثقيلة جدا على المستوى الشعوري:" اطفرت و زوجت لازم عليا نعيش ولدي بمدخول مليح باه يعيش وليدي مكرم " لكن المفحوص لديه تجارة تضمن له العيش الكريم و في الحقيقة لم يرد البقاء مع والدته الأرملة في مكان واحد، بل حاول الهروب مرة أخرى منها بسبب ضغط الهوامات الأوديبية التي لم تحل بعد، أي لم يستطع إستدخال الأم على المستوى النفسي بحيث تكون معه أين حل، بل يريدها كموضوع أمامه لكن التأنيب الأوديبي لا يسمح له بالبقاء معها.

لقد أقام عبد القادر في المهجر حوالي 4 سنوات، و كان عامل يومي، كل موسم يشتغل في قطاع معين، بمعنى أنه خلال فصل الشتاء و الربيع و الخريف يعمل في الفلاحة، وخلال فصل الصيف يعمل في المطاعم.

يقول عبد القادر: "الخارج مليح بصح يقسي القلب، لقد مكثت أكثر من أربع سنوات كلمت فيها أمي حولي 8 مرات، أي في الأعياد فقط"، وعند الحديث معه على العودة القسرية لاحظنا الأسى على اماءاته وقال: " انا الي درتها الروحي على بالي بلي La police تكثر خدمتها في الأعياد وانا رحت ندور قدامهم"، وهذه رغبة لاشعورية في العودة الى الوطن، وبالتالي الى الأم موضع الحب الأول الذي مازالت تراوده هواماتها.

لم يفكر عبد القادر في العودة على مستوى الوعي، ولا مرة كما أبدى برود عاطفي اتجاه العائلة وهذا من خلال عدم الاتصال الهاتفي مع الأسرة، إلا مرات معدودة بسبب أنه تنشط لديه الآثار الذكراوية المؤلمة والمتعلقة بالهوامات الأوديبية، وكأنه يتفادى تنشيط الهوامات ذات علاقة بالموضوع.

ولما سألناه عن مشاهدته للقنوات الوطنية عبر الأقمار الصناعية قال: "ماشي بزاف بصح في رمضان نشوف النهار برك لكن سرعان ما أغير القناة"، ولما سألناه عن العودة الى الوطن (رمزية للأم) قال: "عمري ما فكرت في الروتور (retour) بإرادتي حتى و لو توفى احد أفراد العائلة لأنني بصراحة لن أفعل له شيء و ليس لي (Les papiers) باه نعاود أنولي"، هنا يتبين لنا أن المفحوص قد لا يحتمل الفقدان الحقيقي للموضوع و بالتالي يفضل البقاء بعيدا عنه فضلا عن المكوث معه منتظرا فقدانه مرة ثانية.

لما سألناه: "هل كنت تكلم أمك في الهاتف؟"، رد قائلا:" في الحقيقة كنت نفكر بزاف في هذا بصح كي كنت نجي نتكلم في الهاتف ... بصح كنت نبعث لها الأورو مع بعض المهاجرين (les immigrés) في الصيف ما كنتش نخلي عليها"، إن هذا السؤال أربك المفحوص ولم يجبنا عنه لأن جهازه النفسي لم يستطع إخراج الحنين والعاطفة اتجاه والدته، مكتفيا بالتعويض بالأموال التي كان يرسلها لها مع المغتربين في الصيف، يعني أنه أخفض التوتر عن طريق الإزاحة جاعلا من الأموال (Euro) مثل الكلام معها في الهاتف.

يقول المفحوص أنه دائما يفكر في العودة ولو بطرق غير شرعية وعلى حد تعبيره:" لقد صرفت أكثر من 300 ألف دينار على ملفات الفيزا ولم يبقى لي إلا الحرقة عبر تركيا أو الفلوكة"، عبد القادر يزاول تجارة حرة ويقول: "ليس من أجلي بل من أجل العائلة ومشروعي الوحيد هو العودة الى الخارج".

إن هذه المقابلة ما هي إلا مؤشر على إمكانيات عبد القادر النفسية، و مؤشرا على الهشاشة، لذا اعتمد في مقابلته على الاحتيال و اللف و الدوران ، مرة يحكي قصة و مرة أخرى يحاول سرد نكته محاولا تفادي الأسئلة و هذا دليل على الخوف و هشاشة الأنا في التعامل مع الواقع، معطيا لنا إمكاناته النفسية من خلال الأجوبة المقتضبة على أسئلة المقابلة، و التي تعطي لنا مؤشر أولي عن هشاشة تنظيمه العقلي و إشكالياته الهوامية الأوديبية التي تهدر من طاقته النفسية، مسببة عدم التوازن النفسي .

نتائج اختبار الرورشاخ: عبد القادر

1-**المخطط النفسـي**: (Psychogramme)

المحتويات	المحددات	أنماط الادراك	الخلاصـة
A=5 H=1 Anat=1	F+=3 F-=2 Σ F =5 K-=1 CF=1 C'F=1 Clob=2	G=4 G%=57% D=3 D%=42,8% Dd =0 Dd= 0%	R=7 Rcompl=1 Refus=03 Total = 3.42 S TP/R=31S TRI=K1 > C 2 FC%= 28,5% Ban=03 F% =71,4% F% élarge= 85,7% F+ %= 60% A%= 71,4% H%= 14,28%

-اختبار الاختيارات:

-الاختيارات الإيجابية: اللوحات I و V "لأنها حيوانات".

-الاختيارات السلبية: اللوحات VII و IV "ماعلا باليش وعلاه".

2-**التحليـل الكمي**:

-الإنتاجيـة:

الانطباع العام الذي نقرأه من هذا البروتوكول هو نقص الإنتاجية حيث (R=7) والتي تعتبر قيمة ضعيفة مقارنة بالعادية المتراوحة بين (20-30) إجابة، كما أنها جاءت في زمن قصير لكنه يناسب نوعا ما الإجابات المعطاة.

ما نلاحظه في البروتوكول هو رفض المفحوص للوحات (X، IV،VII) مما قد يعود ذلك إلى سبب قوي و مفاجئ في نشاط التداعي سببته اللوحات يعود إلى المضامين الكامنة.

-اللوحة الأولى تعالج صورة الجسد من خلال الإجابات المركبة والتي تدل على قدرات كبيرة في وضع علاقات دالة على صورة جسدية جد متينة من خلال إعطائه إجابة مبتذلة في هذه اللوحة وهي "خفاش" مما يدل على إدماج جيد للوحدة الجسدية ككل.

-اللوحة الثانية تعالج اشكالية قلق الخصاء حيث لم يعرها الانتباه وقال: "كوكياج تع البحر".

-اللوحة الثالثة تعتبر أول لوحة ملونة بالأحمر وتمثل صورة الجسد ككل كما تحمل رمزية جنسية ثنائية، وعبد القادر قد تمكن من إدراك الجنس في حركة بقوله: " نساء متفاتنين"، حيث استغل المفحوص اللون الأحمر وأعطى إجابة مبتذلة تثير أنماطا علائقية تستحضر استثمارات نزوية كثيفة لاسيما في مظهرها العدواني.

-اللوحة الرابعة تركز على صورة الجسد في صورة العظمة والقوة كما تعتبر لوحة قضيبية لأنها تثير مواقف تقمصيه نشيطة وسلبية تبعث تداعيات مرتبطة بصورة الأم ما قبل التناسلية، وكانت إجابة عبد القادر برفض اللوحة واكتفى بقوله: " ماعرفتهاش "، فهو يحاول تفادي اللوحة نظرا لما تثيره من تداعيات خطيرة .

-اللوحة الخامسة هي لوحة الهوية وتصور الذات، اذا كان الإدراك كليا للوحة وهذا ما كان لدى إجابة عبد القادر فهو يدرك ذاته من خلال قوله: " بابيون ".

-اللوحة السادسة توحي كذلك إلى صورة الجسد في تناظرها لكن عبد القادر أدركها بشكل آخر فقال: "حوتة مقطعة ".

-اللوحة السابعة تمثل لوحة الأمومة و التقمصات الأنثوية، كما تبرز تداعيات كل أنماط العلاقة مع صورة الأم، لكن عبد القادر رفض إعطاء إجابة على اللوحة رافضا بذلك تقمص الجنس الأنثوي.

-اللوحة الثامنة هي لوحة العلاقة مع المحيط الخارجي، وتدل على نوع استثمار الفرد لمحيطه فكانت إجابة عبد القادر بعيدة عن المبتغى والدالة على وجود اضطراب في التكيف مع المحيط الخارجي فقال: " تاتة ، حرباء ".

-اللوحة التاسعة تشير إلى ما بداخل الجسد فكانت إجابة عبد القادر" عمود فقري " وهي توحي بنمط المعيش العلائقي مع المحيط الذي يعيش فيه عبد القادر.

-اللوحة العاشرة تعتبر أصعب امتحان لإمكانيات توحيد صورة الجسد كما تثير اللوحة قلق الانقسام، لكن عبد القادر رفض اللوحة وقال:" ما عرفتهاش " .

نلاحظ النمطية في الإجابات رغم تغيير المثير، ففي اللوحة الأولى كانت إجابته " خفاش " ، أما في اللوحة الثانية فكانت إجابته " كوكياج نتع بحر " ، أما في اللوحة الخامسة فكانت إجابته " بابيون " ، وفي اللوحة الثامنة كانت إجابته " تاتة، حرباء " ، أما اللوحة التاسعة فإجابته " عمود فقري "، فالانطباع الذي تتركه هذه اللوحة يدل على نمط المعيش العلائقي مع المحيط الذي يعيش فيه سواء من خلال حركات التداعيات الإيجابية أو الهوامات التهديدية أو الاضطهادية، في حين أن اللوحة العاشرة تعالج إمكانيات توحيد صورة الجسد كما تعتبر لوحة التفردية والانفصال، وعليه فإن عبد القادر رفض هذه اللوحة واكتفى بقوله " ماعرفتهش".

-طريقة التناول:

تم تناول اللوحات بطريقة غير متوازنة حيث (D=3) و(G=4)، كما نلاحظ سيطرة التناول الشامل حيث قدرت نسبته (67%) فكانت الإجابات الكلية في اللوحة الأولى والثالثة والخامسة والسادسة فهي قيمة مرتفعة جدا مقارنة بالعادية المقدرة ب (20-23%) مع ارتباطها ب (-f)مما يدل على السطحية في التفكير وعدم القدرة على الخوض في التفاصيل الدقيقة لحياته الخاصة لا سيما ما عاشه في الغربة وظروف القبض عليه في المتجر من قبل رجال الشرطة ليتم تحويله الى الجزائر ثانية، أما التناول الجزئي قدرت نسبته ب (42،80%) و هي نسبة منخفضة مقارنة بالعادية المقدرة بين(60-68 %)لكن تقترب نوعا ما من العادي، أما الإجابات الجزئية فكانت في اللوحة الثانية والثامنة والتاسعة.

-المحـددات:

ما يميز البروتوكول هو غياب المحدد اللوني الصافي C فالمفحوص لجأ إلى محدد الحركة الإنسانية غير متكيفة clob المرتبطة ب -k وهذا في اللوحة الثالثة، كما نلاحظ إجابات لونية مرتبطة بالشكل.cf ، في اللوحتين الثانية والثامنة.

-المحتويـات:

لدى المفحوص محتويات حيوانية قدرت ب (71,4%)فهي مرتفعة جدا عن العادية المقدرة ب (-45 %) مما يدل على اضطراب في التكيف الاجتماعي الذي يعيشه حاليا، كما نلاحظ محتويات إنسانية (14,28%)، كما ظهر محدد اللون في الشكل وهذا في اللوحة الثانية (-CF) فهي إجابات

شكلية خاطئة أو غير صحيحة، وظهر أيضا في اللوحة الثامنة (CF) فهي إجابات شكلية جيدة أو صحيحة، كما أدرج محتوى إنساني واحد في اللوحة الثالثة مما يشير الى إدراك المفحوص لمفهومها المرئي الذي تحتوي عليه.

3-**التحليل الكيفي**:

-السياقات المعرفيـة:

طريقة التناول الشامل من خلال البروتوكول بمعنى أن السيرورات المعرفية هي تناول شامل للأحداث هذا ما تظهره اللوحات (VI،V،III،I) و ما يميزه هو ارتباطه بمحددات شكلية غير متكيفة مما يوحي إلى احتمال وجود ضغط في الحياة الوجدانية و الحرمان من الاتصال المباشر مع العالم الخارجي، هذا ما أظهرته اللوحات (VI، II) التناول الجزئي نسبته(42،80 %)و هي ضعيفة قد تعود لعدم التركيز والتحليل و الذهاب إلى عناصر كلية، أما الإجابات الجزئية مرتبطة بمحدد لوني غير صافي فهي مقترنة بـ الشكل (F) ذو محتويات حيوانية .

المحـددات:

- المحددات الحركية غير متكيفة(–F) مما يدل على إسقاط مشاعر سلبية مرتبطة بالخوف والقلق.

- المحدد غير الصافي (CF)دليل على وجدانات متمركزة حول الذات وعدم الاستقرار.

- قلة المحددات الشكلية من نوع (+F) دليل على صعوبة المفحوص في الضبط و التكيف مع الواقع حيث لم تظهر (+F) إلا في اللوحات (I، V، IX) لكن هذا مؤشر إيجابي مكنه من استدراك نفسه، ففي اللوحتين الأولى والخامسة كانت إجاباته كلية أي أنه أدرك كل اللوحة مع ارتباطها بالشائعات التي يدركها كل المفحوصين، أما في اللوحة التاسعة فكانت إجابته جزئية ذكرته بجزء من جسده وهو العمود الفقري.

- الديناميـة الصراعيـة:

(1K< 2C TRI) المفحوص من نمط منبسط مزدوج أدرج المفحوص عاطفته في إدراكه (Kclob) والذي أثر على قدرته في تقدير الواقع الخارجي و (RC%= 28،5 %) ضعيف لكن مهم للشحنة العاطفية فهو مرتبط (–F).

صـــورة الذات:

من خلال دراسة اللوحات (I، IV، V)نلاحظ رفض اللوحات (X، VII،IV) حيث كانت مألوفة في الأولى مصحوبة (Ban)في الخامسة مع رفضه للوحة الرابعة.

التقمصات:

من خلال المخطط النفسي للمفحوص نلاحظ أن الإجابات الإنسانية محدودة جدا تحت المستوى الطبيعي للبروتوكول اعتيادي (H=1)،في حين تظهر الإجابات الحيوانية بشكل كبير (A=5) مع مقارنتها مع العدد الإجمالي للإجابات (R=7)و هذا ما نطلق عليه الإزاحة إلى المملكة الحيوانية(déplacement au règne animale) حتى يتمكن من الإسقاط بكل عفوية و تدعم هذه الفرضية تلك الإجابات القصيرة التي تصل إلى حد رفض اللوحات التي تحمل الصورة الوالدية كاللوحة (III) و اللوحة (II) و اللوحة (IV)اذ يقول: "هذه ما عرفتهاش"، أي رفضها.

يمكننا أن نستنتج مما سبق أن هناك تثبيت على مستوى التقمصات، بل تبدو أعمق من ذلك إذ تصل إلى مشكلة الهوية (problème identificatoire et identitaire)، بمعنى أن التعلق الغلمي لمثلي الجنس بالأم، ونزعته المواصلة لإلغاء وجود الأب، هذا الحب الموجه للأم سيكبت فيما بعد مما يدفع الشخص الى تقمص صورة الأم، واتخاذها كنموذج، من منطلقه يقوم باختبار مواضيع الحب الجديدة، وبهذه الطريقة تجسد الجنسية المثلية في الواقع، فالفرد يحب الآخر كما أراد أن تحبه أمه عندما كان صغيرا، وبهذا يمكن فهم أساس نشأة المثلية الجنسية من منطقة اعتمادها على الأقطاب التقمصية الطفولية الأولى المنبثقة من العلاقة الثلاثية : (أم/ أب/ طفل)، وأي خلل في هذه العلاقة قد يؤدي الى مشكل في بناء الهوية الجنسية ومن ثم في البناء النفسي ككل، أما اذا طبع الانسجام في العلاقة الثلاثية فقد يتم تقمص الصور الوالدية في ظروف عادية.

كما نلمس هذه الإشكالية حتى في اختبار الاختيارات نلتمس منها أنها ذات محتوى حيواني (I وV) كما يقول "لأنها حيوانات"، توحي استجابات المفحوص من خلال اللوحات الى نوعية تقمصاته و التي ترمي الى محتويات حيوانية هي (I،II،V، IV، IIIV)، كما نلاحظ أيضا إشكالية التقمصات الجنسية واضحة من خلال اللوحات التالية حيث استطاع التفريق بين الجنسين،(III) نساء متفاتنين: تفريق جنسي مع التقمص للجنس المخالف، (V) حوتة مقطعة: تفريق جنسي نفس الشيء.

كما نلاحظ غياب إجابات إنسانية في اللوحة (IV) مصحوبة بإجابة تبين هشاشة على مستوى الحدود في اللوحة (IV) " حوتة مقطعة "، وتتوسطهم في اللوحة (V) إجابة مألوفة (Banale) في الصورة الشاملة (G) حتى لا يذهب إلى أبعد من ذلك، هذا في غالب الأحيان دليل على التمسك

بالمظهر الخارجي المدرك من طرف المفحوص بنفس الطريقة لتجنب اللجوء إلى التفاصيل التي تغرقه في المشكلات، والتي توحي على وجود إشكاليات التقمصات عند الحالة.

4-مناقشة النتائج:

يمكن القول أن طبيعة الصراع لدى الحالة تتمحور بين الهو و الواقع، العلاقة مع الموضوع مفككة و استثمار للموضوع (RC% = 28،5 %) ضعيف لكن مهم من الناحية العاطفية فهو مرتبط بمحتويات حيوانية، وأخيرا يمكن القول أن المفحوص استخدم ميكانيزمات الكف، الانشطار، الرفض،والإسقاط، و مع وجود قلق التفكك نستطيع افتراض السير النفسي الهش (مع تقمصات مرضية للموضوع).

المراجع:

1- أحمد، عبد العزيز الأصفر. (2010). *الهجرة غير المشروعة: الإنتشار،الأشكال، والأساليب المتبعة*. الرياض: جامعة نايف.

2- سعيد، اللاوندي. *الهجرة غير الشرعية*. (2007). مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

3- عبد الرحمان، سي موسي ومحمود، بن خليفة. *علم النفس المرضي التحليلي و الإسقاطي*، الجزء1. (2010). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

4- محمد، محود السرياني. *هجرة قوارب الموت عبر البحر المتوسط بين الجنوب و الشمال*. (2010). الرياض: جامعة نايف.

5- مهدي، بن شريف. *تفاقم ظاهرة الهجرة السرية في الجزائر*. (2008). مجلة الشرطة، العدد 88.

6- ماجدة، إمام حسين. *سياسات التنمية البشرية كمدخل للحد من الهجرة غير الشرعية*. (2008). القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

7-J, PERRON. *Le complexe d'œdipe*, 1ère éd, (1994). Paris : Puf.

8-J, LAPLANCHE, et J. Pontalis. *Vocabulaire de la psychanalyse*, 10ème éd. (1990). Paris : Puf.

9-J, BERGERET. et al. *La psychologie pathologique*. 1982 Paris : Masson.

10-HAMMOUDA, Nasser Eddine. *Le désir de migration chez les jeunes algériens*. 2008. Italie : E .U.I.